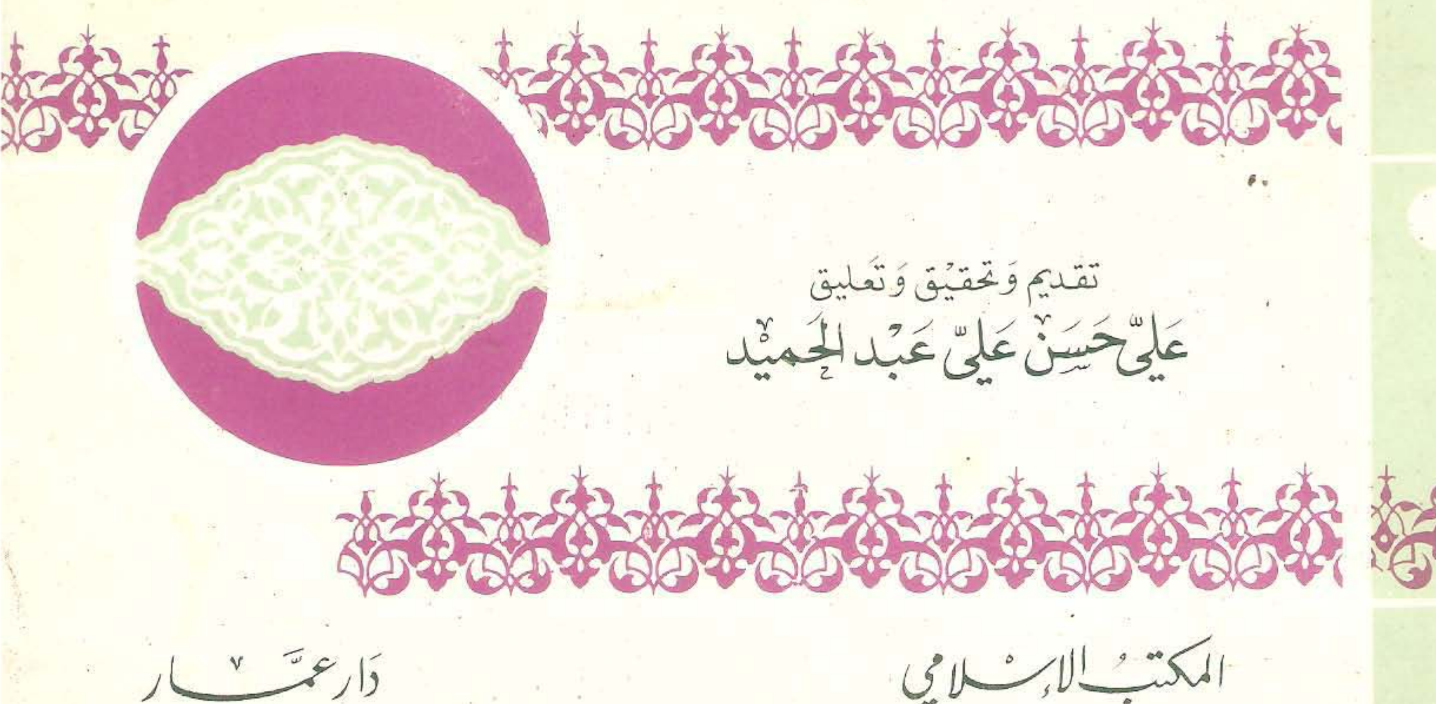


# نجاة الخلف في اعتقاد السلف


تصنيف
الشيخ العلامة عثمان بن عثمان بن أحمد بن سعيد النجدي
المتوفى سنة (١٠٩٧ هـ) رحمه الله

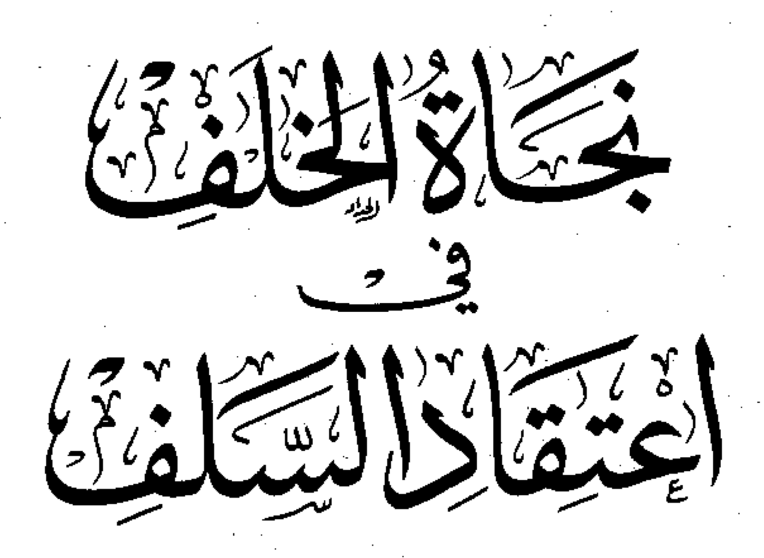




تقديم وتحقيق وتعليق
علي حسن علي عبد الحميد



المكتب الإسلامي
دار عمار

# نجاة الخلف في اعتقاد السلف




تقديم وتحقيق وتعليق

علي حسن علي عبد الحميد

تصنيف

الشيخ العلامة عثمان بن عثمان بن أحمد بن سعيد النجدي

المتوفى سنة (١٠٩٧ هـ) رحمه الله

المكتب الإسلامي

دار عمار

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيًا: إسلاميًا

دار عمّار
الأردن - عمّان - سوق البتراء - قرب الجامع الحسيني
ص.ب ٩٢١٦٩١ - هاتف ٦٥٢٤٣٧

# مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرور أنفُسِنا ومِن سيِّئات أعْمالِنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهدُ أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له. وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه.

أما بعد:

فهذه رسالةٌ مختصرةٌ مفيدةٌ، في بيان مُهمّات العقيدة، مُصنّفُها عالمٌ لغويٌّ مُحقِّقٌ، كتَبَها لـ «ينتفعَ بها - إن شاءَ اللهُ - كثيرٌ من المبتدئين والمتوسّطين»[1].

ولقد طبعت هذه الرسالة مرتين - قَبْلُ - ويعوز الطبعتينِ التعليقُ المفيدُ، والتحقيقُ النافعُ، وهو ما سأُحاولُه في هذه الطبعة إن شاء الله تعالى.

وإنّني إذْ أقوم بنشر هذه الرسالةِ، فإنَّ غايتي في ذلك - وفي سائر أعمالي - نَشْرُ عقيدة السّلَف وإشاعتُها بين الناس على اختلاف طبقاتهم

(١) من مقدّمة المصنّف، أنظر (ص ١١).

العلمية، وعلى تَعَدُّدِ مستوياتهم الفكريةِ[1].

فالله أسألُ أن يُسَدِّدَ خُطاي، وأن يكتبَ لي الأَجرَ والثواب، إنه سميع مجيب.

وكتبه

**أبو الحارث علي حسن علي**

الاثنين: ٧ من ذي القعدة/١٤٠٦ هـ

١٤ من تموز/١٩٨٦ م

---

(١) وقد لاحظت أن المصنّف ينقل كثيراً عن ابن تيمية، وتلميذه ابن القيّم دون إشارة إلى ذلك، إلاّ في المقدمة، فما كتبه فيها غريبٌ عنهما.

# مُوجَز ترجَمَة المُصنّف

• هو الشيخ العلاَّمة عثمان بن عثمان بن أحمد بن سعيد بن قائد النجدي الحنبلي.

• وُلِد في مدينة العُيَيْنَة، ونشأ بها، وقرأ على علمائها ومشايخِها.

• رحل إلى الشام ثم إلى مصر، فأخذ عن علمائهما، وأفاد الطلبة، وناظر الفقهاء.

• شيوخه كثيرون، أهمُّهم:

أ ـ الشيخ محمد بن موسى البُصَيْري النجدي.

ب ـ الشيخ عبدالحي ابن العماد الحنبلي(١)

ج ـ الشيخ عبد الله بن محمد بن ذَهْلان.

د ـ الشيخ عبد القادر التَّغْلِبي الشَّيْباني الدمشقي.

هـ ـ الشيخ محمد البَلْباني الشامي.

وغيرهم.

---

(١) وهو مصنّف «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» مطبوع في (٨) مجلّدات.

• وتلاميذُه لا يُحْصَوْن، إذ انتفع به خلقٌ كثيرٌ في نجد، والشام، ومصر، أشهرهم:

أ ـ الشيخ أحمد بن عوض المِرْداوي الحنبلي.

ب ـ الشيخ محمد ابن الحاج مصطفى الجنيني.

جـ ـ الشيخ حسن بن نصّار بن منصور البيتاوي.

وغيرهم كثير.

• له مصنّفات متعدّدة المواضيع، وهي:

١ ـ هداية الراغب شرح عدة الطالب، طبع في مصر.

٢ ـ رسالة (أيّ) المشدّدة، طبع في دار عمار ـ عمان، الأردن.

٣ ـ حاشية على المنتهى، منها نسخة مخطوطة في مكتبة آل القاضي في عُنَيزة ـ السعودية.

٤ ـ مختصر دُرَّة الغوّاص.

٥ ـ شرح البسملة.

٦ ـ رسالة في الرضاع.

٧ ـ الإسعاف في إجازة الأَوْقاف.

٨ ـ رسالة في القهوة.

٩ ـ تلخيص «نونيّة ابن القيّم»[١].

(١) هي القصيدة العظيمة النفع التي نظمها شيخ الاسلام ابن قيم الجوزية، وقد شرحها الشيخ احمد بن ابراهيم بن عيسى وطبعها المكتب الاسلامي بمجلدين كبيرين.

١٠ ـ كشف الضَّوْ عن معنى لَوْ. (وهو تحت الطبع في دار عمار).

وهناك مجموعة أُخرى من رسائله الفقهية المخطوطة موجودة في مكتبة أوقاف بغداد.

- توفّي رحمه الله مساءَ الاثنين ١٤ جمادى الأُولى سنة (١٠٩٧ هـ) رحمه الله تعالى[١].

- مصادر ترجمته:

« مشاهير علماء نجد » (٦٨٣/٣) للبسّام، « السُّحُب الوابلة » (ق: ١٠٠) ابن حميد، « فهرس الأزهرية » (٦٥٣/٢)، « إيضاح المكنون » (٦٢٥/٢) و« هدية العارفين » (٦٦٠/١) كلاهما للبغدادي، « معجم المؤلّفين » (٢٤٨/٦) عمر رضا كحّالة، « الأعلام » (٢٠٤/٤) الزِّرْكليّ، مقدّمة « أيّ المشددة » ومقدمة « هداية الراغب » وغيرها.

---

(١) وذكر البغدادي في « هدية العارفين » (٦٥٨/٢) أنه كان حيّاً سنة (١١١٢ هـ)!! وذكر الشيخ محمد حسنين مخلوف في مقدّمته لـ« هداية الراغب » (٣ـ٦) أنه توفي سنة (١١٠٠ هـ)!!

## بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمدُ للهِ العليّ العظيمِ، واجبِ الوُجودِ[(١)]، الحيِّ القيّومِ، الدائمِ الباقي، الملكِ المعبودِ.

والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسَلين، سيّدنا محمدٍ الرسولِ المُطَاع الأمين، المُبلّغ عن الله دينَه القويمَ بقواطعِ الآياتِ والبراهينِ، فلم يترك بابًا من أبوابِ الخير إلّا أَمَرَ به ودَلَّ عليهِ، ولا بابًا من أبواب الشرِّ إلّا نهى عنه[(٢)]، وحذّر أن يُنتمى إليه، صلى الله عليه وسلم وعلى آلهِ وأصحابهِ الكرامِ الّذين لم يزالوا على المَحَجَّةِ البيضاءِ[(٣)]، فالسعيدُ من تَبعَهُم من الأنامِ

وبعدُ: فهذه تعليقةٌ لطيفةٌ تشتملُ على مسائلَ من أصولِ الدينِ يَنتفِعُ بها ـ إن شاء اللهُ ـ كثيرٌ من المبتدئين والمتوسّطين.

---

(١) هذا من اصطلاحات علماء الكلام، إنّما التسمية الثابتة الأوّل: الذي ليس قبله شيء، والقّيوم: وهو القائم بنفسه.

(٢) كما في قوله ﷺ: «إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلاّ كان حقاً عليه أن يَدُلَّ أُمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم» رواه مسلم (١٨٤٤) عن عبدالله بن عَمْرو.

(٣) كما في قوله ﷺ: «قد تركتكم على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغُ عنها إلاّ هالك» أخرجه أحمد (١٢٦/٤) وابن ماجه (٤٣) والحاكم (٩٦/١) وابن حبان (١٠٢) بسند صحيح.

وهي على مذهب الإمام المُبَجّل، والحَبْر المُفَضّل، الإمام الربّاني والصدّيق الثاني أبي عبدالله أحمد بن محمد بـن حنبل الشَّيْباني، رضي اللهُ عنه وأرضاه[1]، وجعل الجنَّةَ منقلبَهُ ومثواهُ.

وَرَتّبتُها على ـ مقدّمةٍ، وثلاثةِ فصولٍ، وخاتمةٍ، أسألُ اللهَ حُسْنَها وقَبولَها[2]، وباللهِ أستعينُ.

---

(١) و (٢) إذ منهجُه في العقيدة ـ رحمه الله ـ منهجٌ صفيٌّ نقيٌّ، لم تَشُبْه الشوائب، ولـم يتكـدّر صفوه، حتى إنّ الإمام أبا الحسن الأشعري قد ذكر في «الإبانة» (ص ٢٠) أنه قائلٌ بما كان يقوله الإمام أحمد، وأنه مخالفٌ لمن خالفَه، فراجعه.

## [ المقــدّمة ]

**المقدّمة: في معرفةِ الله تعالى، فنقولُ وباللهِ التوفيقُ:**

**تجبُ معرفةُ اللهِ تعالى شرعًا بالنَّظَر في الوجودِ والموجودِ، على كُلِّ مُكَلَّفٍ قادرٍ، وَهو أوّلُ واجبٍ له تعالى[1].**

---

(١) وفي ذلك نَظَرٌ بَيِّنٌ إذ ليس في كتاب الله أن النظر أول الواجبات، بل ولا فيه إيجابُ النظر على كل أحد، وإنّما فيه الأمرُ بالنظر لبعض الناس الذين لا يحصُلُ لهم الإيمان إلاّ به، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٤ - ١٨٥]، بل الصوابُ أن أول واجب على العباد هو الشهادتان، لقوله ﷺ عندما أرسل معاذاً إلى اليمن: « ..فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..» رواه البخاري (٣/٢٥٥) ومسلم (١٩)، وقد قال ابن المنذر في «الأوسط» (ص ٧٣٥): «أَجْمَعَ كلُّ من أحفظُ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حقٌّ، وأبرأ من كل دينٍ خالفَ دين الإسلام وهو بالغٌ صحيحُ العقلِ أنه مسلمٌ».

والشهادة تتضمّنُ الإقرار بالله وبرسوله، لكنّ مجرّد معرفة الله تعالى لا يصير بها الإنسان مؤمنًا، وإن كان يعلم أنه ربّ كلّ شيء، كما في دلالة قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولزيادة التفصيل في هذه المسألة المهمّة، أنظر مقال الشيخ عبد الله الغنيمان في مجلة الجامعة الإسلامية رقم (٦٢) بعنوان: «أول واجب على المكلّف عبادة الله تعالى».

وأوّلُ نِعَمِ اللهِ الدينيّةِ وأعظمُها أَنْ أَقْدَرَهُ على معرفتِه.

وأوّلُ نِعَمِ الله الدنيويّةِ الحياةُ العَرِيَّةُ عن ضَرَرٍ[1].

وشُكْرُ المُنعِمِ واجبٌ شرعًا، وهو اعترافُه بنعمتِه على جهةِ الخُضوعِ والإذعانِ، وَصَرْفِ كُلِّ نِعْمَةٍ في طاعتِهِ.

ويجبُ الجَزْمُ بأنّه تعالى واحدٌ أحدٌ، فَرْدٌ[2] صَمَدٌ، عالمٌ بعلمٍ، قادرٌ بقدرةٍ، مريدٌ بإرادةٍ، حيٌّ بحياةٍ، سميعٌ بسمعٍ، بصيرٌ ببصرٍ، متكلّمٌ بكلامٍ[3]، وبأنّه سبحانه ليس بجوهرٍ ولا جِسْمٍ ولا عَرَضٍ، لا تَحُلُّهُ الحوادثُ، ولا يَحُلُّ في حادثٍ، ولا يَنْحصِرُ فيه، فَمَنِ اعتقدَ أو قالَ بأنّ اللهَ تعالى بذاتِهِ في كُلِّ مكانٍ أو في مكانٍ[4] فكافرٌ، بل يجب الجزمُ بأنّه سبحانه بائنٌ[5] مِن خَلْقِهِ.

فاللهُ تعالى كان ولا مكانَ، ثُمَّ خَلَقَ المكانَ، وهو على ما عليهِ كان قبل خَلْقِ المكان[6].

---

(١) يعني الخالية عن الأضْرار.

(٢) هو بمعنى ما قبله، ولم يثبت هذا اللفظ في الكتاب أو السنّة!

(٣) وهذا كلامٌ لم يَقُلْهُ السَّلَف، ولقد ردَّه المصنِّفُ نفسُه رحمه الله في صفحة (١٨) من هذه الرسالة فراجعه.

(٤) ومثاله قول بعض الجهلة: «ما وسعتني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن» وينسبونه حديثاً قدسياً» (!!) قلت: قال العراقي عنه في «تخريج الإحياء» (١٤/٣): لم أر له أصلاً، وقال الزركشي: هذا حديث باطل وضعته الملاحدة، كما قال الزركشي ونقله عنه علي القاري في «الأسرار المرفوعة» بتحقيق الصباغ، طبع المكتب الاسلامي. (ص ٣٠١ و ٣٦٠) وأقرّه!.
وانظر «المسلك الوسط الداني..» (رقم:٢) للكوارني بتحقيقي.

(٥) أي: منفصلٌ عنه، كما وضّحه الإمام الخطّابي في «شأن الدعاء» (ص ١٦٠).

(٦) وهذه عبارة مجملة، فإذا أُريدَ بالمكان موضعٌ محدّدٌ كانت صحيحة، وإذا أُريد بالمكانِ العرشُ واستواءُ الله سبحانه عليه وعلوه فوقه فهو باطلٌ.

وكُلُّ شيءٍ سوى اللهِ تعالى وصفاتِهِ حادِثٌ، واللهُ سبحانه وتعالى خَلَقَهُ وأوجَدَهُ، وابتدأه من العَدَم.

وجميعُ أعمالِ العبادِ كَسْبٌ لهم، وهي مخلوقةٌ لله تعالى، خيرُها وشرُّها، والعبدُ مختارٌ مُيَسَّرٌ في كسبِ الطاعةِ واكتسابِ المعصيةِ[1].

ومشيئتُه وإرادتُه تعالى ليستا بمعنى محبتِهِ ورضاهُ وسَخَطِهِ وبُغضِهِ، فَيُحِبّ ويَرضى ما أَمَرَ به فقط، وخَلَقَ كُلَّ شيءٍ بمشيئتِهِ.

**تتمّة: في حَدَّي[2] الإسلامِ والكُفْرِ:**

**الإسلامُ**: الإتيانُ بالشهادتَيْنِ مع اعتقادِهما، والتزامُ بقيَّةِ الأركانِ الخمسةِ إذا تَعَيَّنَتْ، وتصديقُ الرسولِ فيما جاءَ بهِ.

**والكُفْرُ**: جَحْدُ ما لا يتمُّ الإسلامُ بدونهِ، وَمَنْ جَحَدَ ما لا يتمُّ الإسلامُ بدونهِ أو جَحَد حُكمًا ظاهِرًا أُجْمِعَ على تحريمِهِ أو حِلِّهِ إجماعًا قطعيًّا، أو ثَبَتَ جَزْمًا كتحريمِ لحمِ الخنزيرِ أو حِلِّ خُبزٍ ونحوهما كَفَرَ، أو فَعَلَ كبيرةً: وهي مافية حدٌّ في الدنيا أو وعيدٌ في الآخرةِ، أو دَاوَمَ على صغيرةٍ ـ وهي ما عدا ذلك ـ فَسَقَ[3].

**والإيمان**: عَقْدٌ بالجَنانِ، وقولٌ باللِّسانِ، وعَمَلٌ بالأركانِ [4]، يزيدُ

---

(١) وانظر «مجموعة الرسائل الكبرى» (١/٣٩٢-٤٠٥) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) أي: في معناهما وتعريفهما.

(٣) وهذا تحقيقٌ جيِّدٌ في هذه المسألة التي أشكلت على عقول كثير من الناس في هذه الأيام، وهناك رسالة بعنوان «ما تمسّ الضرورة إلى معرفته من الحقّ في مسائل الولاء والبراء والتكفير والفسق» للعلاّمة ابن الوزير اليماني ـ بتحقيقي، يسّر اللهُ إتمامَها ونشرها بمنّه وكرمه.

(٤) ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب «الإيمان» فصّل فيه مسائله وأحكامه تفصيلاً دقيقاً، طبعه المكتب الاسلامي بتخريج المحدث الالباني، فانظره.

بالطاعةِ وينقُصُ هو وثوابُهُ بالعصيانِ ، ويقوى بالعلمِ ، ويضعُفُ بالجهلِ والغفلةِ والنِّسيانِ .

ويجوزُ الاستثناءُ فيه، وقال ابن عَقيل[1] يُسَنّ، والمرادُ لا على الشكِّ في الحل، بل في المآل أو في قَبول بعض الأعمالِ ونحو ذلك[2] .

(١) توفّي سنة (٥١٣) ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٤٤٣/١٩)، له كتاب «الفنون» يقع في أكثر من أربع مئة مجلد!

(٢) وهذه خلاصة نافعة لمسألة، طال حولَها الجَدَلُ.

# الفصل الأوّل

## في مسألة العلوّ[1]

فنقولُ وباللهِ التوفيقُ: « مذهبُ سَلَفِ الأُمّة وأئمّتِها: أنّهم يَصِفونَ الله تعالى بما وَصَفَ به نفسَه، وبما وصفَه به رسولُه من غير تحريفٍ[2] ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، فَيُثبتونَ له ما أَثْبَتَهُ لنفسِه من الأسماءِ والصِّفاتِ، وَيُنَزِّهونَهُ عمّا نَزّهَ عنه نَفْسَه من مماثلةِ المخلوقاتِ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[3].

وقولُه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رَدٌّ على المُمَثِّلَةِ.

وقولُه: ﴿وَهُوَ السَّمِيْعُ البَصِيْرُ﴾ رَدٌّ على المُعَطِّلةِ.

قال بعضُ العلماء: المُعَطِّل يعبـدُ عـدَمًـا، والمُمَثِّـل يعبُـد صَنَمًـا، والمُوَحّد يعبدُ إلٰهًا واحدًا صَمَدًا[4].

وهو سبحانه قد قالَ في كتابِهِ: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ في السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ

---

(١) وقدْ حقّق هذه المسألة تحقيقاً بارعاً العلاّمة ابن شيخ الحُزّامين في رسالته « نصيحة الإخوان » وهي تحت الطبع بتحقيقي.

(٢) انظر مقدّمتي لـ « ذم التأويل » لابن قدامة.

(٣) سورة الشورى، آية: ١١.

(٤) انظر [ شرح ] « نونية ابن القيّم » (ص ١٢٠).

بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ (١).

وثَبَتَ في «الصحيح» عن النبيِّ ﷺ أنه قال للجاريةِ: «أينَ اللهُ»؟ قالت: في السماءِ. قال: «من أنا»؟ قالت: أنت رسول الله. قال: «أَعْتِقْها فإنّها مؤمنةٌ».

وهذا الحديثُ رواه مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ بنُ حنبلٍ ومسلمٌ في «صحيحه» وغيرُهم(٢).

لكنْ ليس معنى ذلك أنّ اللهَ في جوفِ السماءِ، وأنّ السّمواتِ تحصرُهُ وتحويهِ، فإنّ هذا لم يَقُلْهُ أحدٌ من سَلَفِ الأُمّةِ وأئمتِها، بل هم مُتّفِقونَ على أنّ اللهَ فوقَ سمَواتِهِ على عَرْشِهِ بائنٌ مِنَ خَلْقِهِ، ليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاتِهِ، ولا في ذاتِهِ شيءٌ من مخلوقاتِهِ.

وقد قال مالكُ بنُ أنسٍ: إنّ اللهَ في السماءِ وعلمُه في كُلِّ مكانٍ(٣).

وقالوا لعبدِ الله بن المُبارَكِ: بماذا نعرفُ رَبَّنا؟ قال: بأنّه فوقَ

---

(١) سورة الملك، آية: ١٦.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (٧٧٧/٢) والشافعي في «الرسالة» (٢٤٢) وأحمد في «مسنده» (٤٤٧/٥، ٤٤٨) ومسلم في «صحيحه» (٥٣٧) والبخاري في «جزء القراءة» (رقم: ٧٠). كلّهم عن معاوية بن الحكم السُّلَمي.
تنبيه: في رواية مالك: عن عمر بن الحكم، قال: ابن عبد البرّ: كذا قال مالك، وهو وهم عند جميع علماء الحديث، وليس في الصحابة عمر بن الحكم، وإنما هو معاوية بن الحكم، كما قال كلٌّ من روى هذا الحديث عن هلال أو غيره، ومعاوية بن الحكم معروفٌ في الصحابة، وحديثه هذا معروف.

(٣) رواه عنه عبد الله بن أحمد في «السنّة» (ص ٧٠) وأبو داود في «مسائل الإمام أحمد» (ص ٢٦٣) بسند صحيح.

سماواتهِ على عرشهِ بائنٌ من خَلْقهِ[1].

وقال أحمدُ بنُ حنبلٍ كما قال هذا وهذا[2].

وقال الأوزاعيُّ: كُنّا والتابعون متوافرين[3] نُقِرُّ بأنّ اللهَ فوقَ عرشهِ، بما وردت به السّنّةُ من صفاتهِ[4].

فَمَن اعتقدَ أنَّ الله في جَوْفِ السماءِ أو محصورٌ مُحَاطٌ بهِ، أو أنَّهُ مُفتقِرٌ إلى العرشِ أو غيرِ العرشِ من المخلوقاتِ، أو أنّ استواءَهُ على عرشهِ كاستواءِ المخلوقِ على كُرْسِيِّهِ فهو ضالٌّ مبتدعٌ جاهلٌ[5].

وَمَن اعتقدَ أنّه ليس فوقَ السموات إلهٌ يُعْبَدُ، ولا على العرشِ رَبٌّ يُصَلّى له وَيُسْجَدُ، وأنّ محمدًا لم يُعْرَجْ به إلى ربِّهِ، ولا نَزَلَ القرآنُ من عندهِ فهو مُعَطِّلٌ فرعونيٌّ ضالٌّ مبتدعٌ، فإنَّ فرعون كَذَّبَ موسى في أنّ ربَّه فوقَ السمواتِ وقال: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لي صَرْحًا لَعَلّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ـ أَسْبَابَ السَّمٰواتِ فَأَطَّلِعَ إلى إله مُوْسَى وَإِنّي لأَظُنُّهُ كاذِبًا﴾[6].

ومُحَمَّدٌ ﷺ صدّق موسى في أنَّ ربَّه فوقَ السمٰواتِ، فلمّا كان ليلةُ المِعْراجِ، وعُرِجَ به إلى اللهِ تعالى، وفَرَضَ ربَّه خمسينَ صلاةً، ذَكَرَ أنه

---

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (رقم: ١٤) بسند صحيح.

(٢) وأقوالُهُ في ذلك كثيرةٌ منثورةٌ.

(٣) كذا وفي مصادر الكلمة: «متوافرون».

(٤) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٠٨) وصحح إسناده ابن تيمية في «الحموية» (١/٤٣١ ـ رسائله) وكذا ابن القيّم في «اجتماع الجيوش» (ص ٤٣).

(٥) قارن هذا الكلام النافع الماتع بما يتناقله المغترون على عقيدة السلف وأنها عقيدة التشبيه والتجسيم، وانظر القسم الأول من كتابي «منهاج التأسيس في الردّ على أهل البدع والتَّدْليس» وهو لعنوان «حوار مع الحبشي ومُريديه» يسرّ الله نشره.

(٦) سورة غافر، آية: ٣٦-٣٧.

وانظر لزاماً ما قاله الإمام ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١١٥) حول هذه الآية.

رَجَعَ إلى موسى، وأنّ موسى قال له: ارجعْ إلى رَبّكَ فَسَلْهُ التخفيفَ لأُمَّتِكَ فإنّ أُمَّتَكَ لا تُطيقُ... الحديث، فَرَجَع إلى رَبّه فَخَفَّفَ عنه عشرًا، ثم رَجَع إلى موسى فأخبره بذلك، فقال: ارْجعْ إلى رَبّك فَسَلْهُ التخفيفَ لأُمّتِكَ.

وهذا الحديثُ في «الصِّحاح»[1]، فَمَنْ وافَقَ فِرْعَوْنَ وخالفَ موسى ومُحَمّدًا فهو ضالٌّ، ومَنْ مَثّلَ اللهَ بخلقهِ فهو ضَالٌّ.

قال نُعَيم بن حَمّاد: من شبَّه اللهَ بخلقهِ فقد كفر، ومن جَحَد ما وصفَ اللهُ به نفسَه فقد كفر، وليس ما وصف اللهُ به نفسَه أو رسولُه تشبيهًا[2].

واللهُ قد فطر العبادَ عَرَبَهم، وعَجَمَهم على أنّهم إذا دَعَوا اللهَ توجَّهَتْ قلوبُهم إلى العُلُوّ لا يقصدونَه تحتَ أرجُلِهم، ولهذا قال بعضُ العارفينَ: «ما قال عارفٌ قط: يا أللهُ، إلّا وَجَد في قلبه قبلَ أن يتحرّكَ لسانُه معنىً يطلبُ العلوَّ ولا يلتفتُ يَمْنَةً ولا يَسْرَةً»[3].

[ الذات والصفات ].

والكلامُ في هذا المقامِ وشِبْهِهِ يتبيّنُ بذكر أَصْلٍ أَصيلٍ، وهو أنّ الكلامَ في الصِّفات فَرْعُ الكلامِ في الذاتِ، فكما أنّا نُثبتُ له تعالى ذاتًا لا تُشبه الذواتِ، فكذا نَقولُ في صفاته: إنّها لا تُشبه الصِّفاتِ، فليس كعلْمهِ عِلْمُ أحدٍ، ولا كقُدرتهِ قدرةُ أحدٍ، ولا كرحمتِه رحمةُ أحدٍ، ولا كاستوائهِ استواءُ أحدٍ، ولا كسمعهِ وبصرهِ سمعٌ ولا بصرٌ، ولا كتكليمهِ تكليمُ أحدٍ، ولا كَتَجلِّيهِ تَجلِّي أحدٍ، واللهُ سبحانه قد أَخْبَرَنا أنَّ في الجنّة لحمًا، ولَبَنًا، وعَسَلا، وماءً، وسُنْدُسًا[4]، وحَريرًا، وذهبًا.

---

(١) رواه البخاري (٢١٧/٦) ومسلم (١٦٤) عن مالك بن صعصعة.

(٢) رواه عنه الذهبي في «العلو» (ص ١٨٤ ـ مختصره للمحدث الالباني) بسند صحيح عنه، طبع المكتب الاسلامي.

(٣) (٤) هذا قول محمد بن أبي علي الحسن بن محمد الهَمْداني المتوفى سنة (٥٣١ هـ)،=

وقد قال ابنُ العبّاس: «ليس في الدُّنيا مِمّا في الآخِرةِ إلّا الأسماءُ»(١).

فإذا كانَتْ المخلوقاتُ الغائبةُ ليست مثلَ هذه المخلوقاتِ المشاهَدَةِ مع اتِّفاقِها في الأسماءِ، فالخالقُ أعظمُ عُلُوّاً ومُبايَنَةً لخلقهِ عن مبايَنَةِ المخلوقِ للمخلوقِ وإنِ اتَّفَقَتِ الأسماءُ.

والأصلُ في هذا الباب أن كُلَّ ما ثَبَتَ في كتابِ الله أو سُنَّة رسولهِ، وَجَبَ التصديقُ به، مَثْلُ عُلُوِّ الربِّ، واستوائهِ على عَرْشه، ونحوِ ذلك.

فما جاءَ في الكتابِ والسنّةِ وَجَبَ على كُلِّ مؤمنٍ الإيمانُ به، وإنْ

---

= له ترجمة في «سير أعلام النبلاء» (٢٠/١٠٢) قاله لأبي المعالي الجُوَيني لمّا تخبّط في تفسير ﴿الرَّحْمنُ على العرشِ اسْتَوَى﴾، فلما قال له الهَمْداني ذلك قال الجُوَيني: يا حبيبي! الحيرة الحيرة! والدهشة الدهشة!!

وقد روى الذهبي في «العلوّ» (ص ٢٧٧ - مختصره) وفي «السير» (١٨/٤٧٧) بسند صحيح، وانظر «طبقات السبكي» (٥/١٩٠).

تنبيه: الجويني هذا هو عبد الملك بن عبد الله الجويني المتوفى سنة (٤٧٨ هـ) وهو ابن الشيخ عبد الله بن يوسف الجويني المتوفى سنة (٤٣٨ هـ) ويخلط الكثير بينهما، ولقد ثبت رجوع الابن إلى عقيدة السلف كما فصّله ونقله الأستاذ الشيخ عبد الله بن بكر أبو زيد في رسالته «العلماء الذين تحوّلوا من مذهب إلى آخر» (ص ٤٣٨) أمّا والده فتُنسب له رسالة «إثبات الاستواء والفوقية» المطبوعة ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» (ص ١٧٠ - ١٨٧) وهذا خطأ تناقله عددٌ من أهل العلم المعاصرين كما بينته في مقدمتي لـ«نصيحة الإخوان» فراجعه لزاماً! وقارن بـ«مختصر العلو» (ص ٢٧٧)!

(١) كذا، وفي مصادر التخريج: «ليس في الجنة مما في الدنيا إلاَّ الأسماء»، وهو الصواب، وقد رواه هنّاد في «الزهد» (٣) و(٨) والطبري في «تفسيره» (١/١٣٥) وابن حزم في «الفصل» (٥٠/١٠٨) وسنده صحيح، وزاد نسبته السيوطي في «الدرّ المنثور» (١/٩٦) لمسدّد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث».

وانظر «تفسير ابن كثير» (١/١١).

لم يفهم معناه، وكذلك ما ثَبَتَ باتِّفاق سَلَفِ الأُمَّةِ وأئمتِها.

وأمّا ما تنازع فيه المتأخِّرونَ من الألفاظِ المبتدَعةِ في النفي والإثباتِ، مثلُ قولِ القائل: هو في جهةٍ أو ليس في جهة، وهو مُتَحَيِّز أو ليس مُتَحَيِّزًا، ونحو ذلك من الألفاظِ التي تنازع فيها الناسُ، وليس فيها نصٌّ لا عن الرسول ﷺ ولا عن الصَّحَابةِ والتابعينَ لهم بإحسانٍ ولا أئمّة المسلمينَ، فإنّ هؤلاء لم يَقُلْ أحدٌ منهم أنّ الله في جهة، ولا قال: ليس هو في جِهَةٍ، ولا قال: هو متحيِّزٌ ولا ليس بمتحيِّز، بل ولا قال: هو جسمٌ أو جوهرٌ، ولا قال: ليس بجسمٍ ولا بجوهرٍ، فليس على أحدٍ، بل ولا له أَنْ يُوافقَ أحدًا على إثباتِ لفظٍ من هذه الألفاظِ أو نفيهِ حتّى يعرفَ مرادَه، فإنْ أرادَ حَقًّا قُبِلَ، وإنْ أرادَ باطلا رُدَّ، وإنْ اشْتَمَلَ كلامُه على حَقٍّ وباطل لم يُقْبَلْ مُطلَقًا ولم يَرُدَّ جميعَ معناه، بل يُوْقَفُ اللفظُ وَيُفَسَّرُ المعنى، كما تنازع النّاسُ في الجهةِ والتحيُّزِ وغيرِهما.

فلفظُ الجهةِ قد يُرادُ به شيءٌ موجودٌ غيرُ الله فيكون مخلوقًا، كما إذا أُريدَ بالجهةِ نفسُ العرش، أو نفسُ السَّمٰواتِ.

وقد يُرَادُ بها ما ليس بموجودٍ غيرُ اللهِ تعالى، كما إذا أُرِيدَ بالجهة ما فوقَ العالم.

فَمَنْ أرادَ إثباتَ الجهةِ الوجوديّةِ وجَعَلَ الله مُنْحَصِرًا في المخلوقات فهذا باطلٌ.

ومَنْ أرادَ إثباتَ الجهةِ العدميّة وأرادَ أنّ اللهَ وحدَه فوقَ المخلوقاتِ بائنٌ عنها، فهذا حقٌّ.

وليس في ذلك أنّ شيئًا من المخلوقاتِ حَصَرَهُ، ولا أَحَاطَ بِهِ، ولا عَلَا عليهِ، بل هو العالي عليها المحيطُ بها.

وكذلك لفظُ التحيُّز إنْ أرادَ أنّ الله تُحَوِّزُهُ المخلوقاتُ، فاللهُ أعظمُ وأكبرُ، بل قد وَسِعَ كرسيُّه السموٰاتِ والأرضَ.

وإنْ أراد به أنه منحازٌ عن المخلوقاتِ أي مباين لها مُنْفَصِلٌ[1] عنها، ليس حالّاً فيها فهو سبحانه كما قال أئمّةُ السنّةِ: فوقَ سمواتِه على عَرْشِهِ، بائنٌ من خَلْقه[2].

(١) انظر ما تقدّم (ص ١٤) تعليق (٥).
(٢) هذا البحث ملخّص من «التدمرية» (ص ٤٥ ـ ٤٦) طبع المكتب الاسلامي.

# الفصلُ الثَّاني

## في مسألة الكلام

فنقولُ: القرآنُ كلامُ اللهِ أنزله على مُحمّدٍ ﷺ مُعْجزٌ بنفسهِ، مُتَعَبَّدٌ بتلاوتهِ.

والكلامُ ـ حقيقةً ـ الأصواتُ والحروفُ، وإنْ سُمِّيَ بهِ «المعنى النفسيُّ» وهو نسبةٌ بين مفرَدَيْنِ قائمةٌ بالمتكلِّم فَمَجازٌ[1].

والكتابةُ كلامٌ حقيقةً، فلم يَزَل اللهُ تعالى متكلِّما كيفَ شاءَ، وإذا شاءَ بلا كيفٍ، يأمرُ بما شاءَ ويحكُمُ، هذا مذهبُ الإمامِ أحمدَ وأصحابهِ وهو إمامُ السنّةِ بلا منازعٍ، ومذهبُ الإمامِ محمد بن إسماعيل البُخاريّ إمام الحديث بلا دفاعٍ، وجمهورِ العلماء[2].

قاله ابن مُفلح[3] في «أصوله» وابن قاضي الجبَل[4].

فقولُنا: مُعْجزٌ بنفسهِ، أي: مرادٌ بهِ الإعجازُ، كما أنّه مقصودٌ به بيانُ الأحكامِ والمواعظِ، وقَصِّ أخبارِ من قُصَّ في القُرآن من الأمم.

---

(١) سيشرحه المصنِّفُ ـ بَعْدُ ـ.

(٢) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ١١٢ـ١٤٠) لابن أبن العزّ الحنفي.

(٣) توفي سنة (٨٠٣ هـ) ترجمته في «القلائد الجوهرية» (١٦١)، واسم كتابه «مرقاة الوصول إلى علم الأصول» وهو غير مطبوع.

(٤) توفي سنة (٧٧١ هـ)، ترجمته في «الدرر الكامنة» (١/١٢٠).

دليل التحدّي قولُه تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذا القُرآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ ظَهِيْرًا﴾[1] أي فَأْتُوا بمثلِهِ إن ادّعيتم القُدْرَةَ، فلمّا عَجِزوا تحدّاهم بعشرِ سورٍ، ثم بسورةٍ، ثم بحديثٍ مثلِهِ[2].

وقولُنا[3]: مُتَعَبَّدٌ بتلاوته، لِنُخْرِجَ الآياتِ المنسوخةَ اللفظِ، سواءٌ بقي حكمُها أم لا! لأنّها صارت بعد النَّسْخِ غيرَ قرآنٍ لسقوطِ التعبُّدِ بتلاوتِها.

وقولُنا: والكتابةُ كلامٌ حقيقةً لقولِ عائشةَ: «ما بين دَفَّتي المصحفِ كلامُ الله»[4]، ولأنّ من كتب صريحَ الطّلَاقِ وقع عليه الطلاقُ بذلك، ولو لم يُنَوِّهْ على الصحيح[5].

وقولُنا: ولم يَزَلِ اللهُ تعالى متكلّما كيف شاء، وإذا شاء بلا كيفٍ يأمرُ بما شاءَ ويحكمُ، لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يتكلّم بمشيئتهِ وقُدرتِه، بمعنى أنّه لم يَزَلْ مُتكلّما إذا شاءَ، فإنّ الكلامَ صفةُ كمالٍ، ومن يتكلّم أكملُ مِمّنْ لم يتكلّمْ، ومن يتكلّم بمشيئتهِ وقُدرتِهِ أكملُ مِمَّنْ لا يكونُ كذلك.

وقولنا: والكلامُ حَقيقةً الأصواتُ والحروف إلخ، قال الإمام

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٨٨.

(٢) سورة هود: ١٣، وسورة البقرة: ٢٣، وسورة يونس: ٣٨، وسورة الطور: ٣٤.

(٣) انظر «نواسخ القرآن» (١١٠-١٢٢) لابن الجوزي.

(٤) لم أجده، والآثار والأخبار في معناه كثيرة استقصاها البخاري في «خلق أفعال العباد» واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة» وقارن بـ«جامع الأصول» (٩/٦٤١).

(٥) انظر «المغني» (٧/٢٣٩) لابن قدامة، ففيه مناقشة لهذه المسألة.

الطُّوفي[1] من الحنابلةِ: إنما كان حقيقةً في العِبَارةِ مجازًا في مدلولها لوجهين:

**أحدِهما:** أنّ المتبادَرَ إلى فهمِ أهل اللُّغَةِ من إطلاقِ الكلام إنما هو العبارة، والمبادَرَةُ دليلُ الحقيقةِ.

**الثاني:** أنّ الكلامَ مشتقٌّ من الكَلْم لتأثيرهِ في نفس السامع، والمؤثِّرُ في نفس السامعِ إنّما هو العباراتُ لا المعاني النفسيّةُ، نعم هي مؤثّرةٌ للفائدةِ بالقوّةِ، والعبارةُ مؤثّرةٌ بالفعل، فكان ما هو مؤثِّرٌ بالفعلِ أَوْلَى بأنْ يكونَ حقيقةً، وما هو مُؤَثِّرٌ بالقوّةِ مَجَازًا[2].

ومما يُبْطِلُ القولَ بأنّ القرآنَ هو المعنى النفسيُّ وجوهٌ كثيرةٌ:

أحدها: أنَّ اللهَ سبحانه تحدّى الخَلْقَ بالإتيانِ بمثلِهِ، والتحدِّي إنما وقع بالإتيانِ بمثل هذا الكتابِ بغيرِ إشكالٍ لأنّ ما في النفسِ لا يُدْرى ما هو، ولا يُسَمّى سورًا ولا حديثًا، فلا يجوزُ أنْ يقالَ: فَأْتُوا بحديثٍ مثلِ ما في نفس الباري، ولأنَّ المشركينَ إنّما زعموا أنّ النبيَّ ﷺ افترى هذا القرآنَ وتَقَوَّلَهُ، فَرَدّ اللهُ عليهم دعواهم بتحدِّيهم بمثلِ ما زَعَموا أنه مفترىً ومنقولٌ دونَ غيره، وهذا واضحٌ لا شكَّ فيه.

**الثاني:** أنّهم سَمَّوْهُ شِعْرًا فقال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلّا ذِكْرٌ وقُرآنٌ مُبِينٌ﴾[3].

ومن المعلومِ أنّهم عَنَوا هذا النَّظْمَ لأنّ الشعرَ كلامٌ موزونٌ، فلا يُسَمّى به معنىً ولا ما ليس بكلام، فسمّاه اللهُ تبارك وتعالى ذِكْرًا

---

(١) توفي سنة (٧١٦ هـ)، ترجمته في «الأنس الجليل» (٢/٥٩٣).

(٢) الجراحة.

(٣) سورة يٓس: آية: ٦٩.

وقُرآنًا مُبينًا، فلم تَبْقَ شُبهةٌ لذِي لُبٍّ في أَنَّ القُرآنَ هو هذا النَّظمُ دونَ غيرِه.

**الثالث:** أنّ بعضَ الكُفّارِ زَعَمَ أنّه يقولُ مثله ومنهم من طلبَ تبديلَه ونهى بعضُهم بعضًا عن سماعهِ، وأمَرُوا باللّغْوِ فيه(١).

ومِنَ المعلومِ اليقينيِّ أنّ هذا كلّه لا يتعلّقُ إلّا بهذا الكتابِ دون ما في النفس، فإنّ الكُفّار ما اعتقدُوا في نَفْس الباري شيئًا يُريدونَ تبديلَهُ أو يزعُمونَ أنّهم يقولون مثلَه، ولا يَنْهَوْنَ عن سماعهِ، مَعَ إشارتِهم إلى حاضر(٢).

**الرابع:** أنْ الله سمّى القُرآنَ عربيًّا فقال: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾(٣) أيْ غير مخلوق، وحَديثًا(٤) بقولِهِ: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الحَدِيثِ﴾(٥) وإنّما يتعلّق هذا الوصفُ باللفظِ دونَ المعنى.

أشارَ إلى هذه الأوجُهِ شيخُ الإسلامِ المُوَفّق(٦) في كتابه «البرهان»(٧) وأطال.

قال الطُّوفيُّ رحمه الله تعالى: وأمّا قولُه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ في

---

(١) كما في سورة فصلت، آية: ٢٦.

(٢) أي: مسموع حاضر

(٣) سورة الزمر، آية: ٢٨.

(٤) أي: سمّاه حديثًا.

(٥) سورة القلم، آية: ٤٤.

(٦) هو صاحب كتاب «المغني» توفي سنة (٦٢٠ هـ)، ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٦٥/٢٢).

(٧) انظر «ذيل طبقات الحنابلة» (١٣٦/٢) واسمه «البرهان في مسألة القرآن» وهو غير مطبوع.

أَنْفُسِهِمْ﴾ [1] فَمَجازٌ لأنّــه إنّما دَلّ على المعنى النفسيِّ بالقرينةِ، وهي قولُه: ﴿في أَنْفُسِهِمْ﴾، ولو أُطْلِقَ لما فَهَّمَ إلّا العبارةَ.

وكذلك كلُّ ما جاء من هذا البابِ إنّما يفيدُ مع القرينةِ، ومنه قول عُمَرَ: زَوّرتُ في نَفْسي كلامًا [2].

وأمّا قولُه تعالى: ﴿وَأَسِرُّوْا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ [3] فلا حُجَّةَ فيه، لأنّ الإِسْرارَ خلافُ الجهرِ، وكلاهما عبارةٌ عن أن يكونَ أحدُهما أرفعَ صوتًا من الآخرَ.

وأما بيتُ الأخطلِ [4]، فيُقال: إنّ المشهور فيه:

إنّ البيــانَ لفــي الفــؤادِ ،

وتقديرًا أن يكونَ كما ذكروا فهو مَجَازٌ عن مادّةَ الكلام، وهو التصوّراتُ المصَحِّحَةُ له.

إذ مَنْ لم يتصوَّر ما يقولُ لا يُوجِدُ كلامًا، ثم هو مبالغةٌ من هذا الشاعرِ في ترجيحِ الفُؤادِ على اللِّسانِ.

---

(١) سورة المجادلة، آية: ٨.

(٢) رواه بنحوه البخاري (٦٨٣٠) وأحمد (١/٥٦).

(٣) سورة الملك، آية: ١٣.

(٤) اسمه غياث بن عوث، توفي سنة (٩٠ هـ) ترجمته في «الشعر والشعراء» (١٨٩)، والبيت المذكور هو:

إنّ الكلام لفــي الفــؤاد وإنّمــا جُعــل اللســان علــى الكلام دليلاً

ونسبه إليه الباقلّاني في «التمهيد» (ص ٢٥١) ولم أجده في «ديوانه»!

وانظر مناقشة شيخ الإسلام له في «درء تعارض العقل والنقل» (٢/٨٥-٨٦)، وانظر «شرح العقيدة الطحاوية» طبع المكتب الاسلامي (١٣١).

**وأدلّةُ السَّلَفِ على كون الكلامِ** حقيقةً هو الأصواتُ والحروفُ: الكتابُ والسنّةُ والإجماعُ.

**أما الكتابُ:** فقول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (١) وقال: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ (٢) وقال: ﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ (٣).

والتكليمُ: هو ما يسمعُه المتكلِّمُ ويُصِلُ إلى سمعهِ، والمسموعُ إنّما هو الحروفُ والأصواتُ لا المعاني.

وكذلك قولُه: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ (٤) والنِّداءُ لا يكونُ إلّا صوتًا، وفي القُرآنِ من هذا الكثيرُ.

**وأمّا السنّةُ:** فقولُ النبيِّ ﷺ: «إذا تكلّم اللهُ بالوحيِ سمع صوتَه أهلُ السماءِ»(٥).

ورُوِي ذلك موقوفًا (٦) على عبد الله بن مسعود، فروى عبدُ اللهِ بنُ أحمَد في كتاب «الردّ على الجهميّة»(٧) أنّه قال: يزعُمون أنّ اللهَ لا يتكلّمُ بصوتٍ، فقال: كَذَبوا، إنّما يَدُورونَ على التعطيلِ.

ثم قال: حَدَّثني عبدُ الرحمن بن محمد المُحارِبي، عن الأَعْمش، عن

---

(١) سورة النساء، آية: ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٤٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٤) سورة الشعراء، آية: ١٠.

(٥) رواه بلفظ: «إذا تكلّم الله بالوحي سمع أهلُ السماوات صلصلةً كصلصلة السلسلة على الصفوان..» كلٌّ من أبي داود (١٤٥) والآجري (٢٩٤) والبيهقي في «الأسماء» (٢٠١) والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٤٦٥) بسند صحيح.

(٦) وله حكم الرفع، إذ لا اجتهاد فيه.

(٧) وفي «السنة» (رقم ٣٥٢).

أبي الضُّحى عن مَسْروقٍ ، عن عبد الله بن مسعود : قال: إذا تكلّم اللهُ بالوحيِ سمع صوتَه أهلُ السماء .

قال أبو نَصْر السِّجْزي[1] : وما في روايةِ الإمامِ مقبولٌ[2] .

وفي الحديثِ أن النبيَّ ﷺ قال: « يَحْشُرُ اللهُ الخلائقَ يوم القيامةِ في صعيدٍ واحدٍ، فيُناديهم بصوتٍ »[3] رفيع غير فظيع ، ذكره أبو حُذَيفة إسحاق بن بِشْر[4] في كتابِه[5] .

ورُوي أن النبيَّ ﷺ ذَكَرَ أهلَ الجنَّةِ إذا رَأَوْا ربَّهم تبارك وتعالى فيُناديهم بلذاذةِ صوتِه[6] .

وقال ﷺ : « مَنْ قرأ القرآنَ فأعربه فله بكلِّ حرفٍ عشرُ حسناتٍ ومن قرأه فَلَحَنَ فيه فله بكُلِّ حرفٍ حَسَنَةٌ »[7] قال المُوَفَّق في

(١) توفي سنة (٤٤٤ هـ) ترجمته في « سير أعلام النبلاء » (١٧/٦٥٤) .

(٢) لعلّه يُريد أن لا تعارض بين الوقف والرفع كما بيّنتُه آنفاً .

(٣) علّقه البخاري في « صحيحه » (١٣/٤٥٣) ووصله هو في « خلق أفعال العباد » (٤٦٣) و« الأدب المفرد » (٩٧٠) وفي سنده ضعف.
لكنّ له طرقاً أُخرى تكلّمت عليها في تعليقي على « نصيحة الإخوان » لابن شيخ الحَزّامين ، فيصحّ بها ولله الحمد .
تنبيه: قوله: « رفيع غير فظيع » لعله من تفسير ابن بشر ، فلم أره في شيء من طرق الحديث ! !

(٤) توفي سنة (٢٠٦ هـ) ترجمته في « تاريخ بغداد » (٦/٣٢٦) و« لسان الميزان » (١/٣٥٤) و « معجم الأدباء » (٦/٧٠).

(٥) لعلّه يريد كتاب « المبتدأ » منه الجزء الرابع في المكتبة الظاهرية ـ دمشق (مجاميع : ٧١٠).

(٦) رواه ابن الجوزي في « الموضوعات » (٣/٢٥٩) وأعلّه بثلاث علل قادحة للغاية، وأورده ابن عراق في « تنزيه الشريعة » (٢/٣٧٨) ملّخصاً كلام ابن الجوزي ومقرّاً

(٧) رواه بهذا اللفظ أبو عثمان الصابوني في « المئتين » والبيهقي في « الشعب » عن عمر لـه . وسنده ضعيف، وانظر « كنز العمّال » (٢٣٨٩). =

« البرهان » : حديثٌ صحيحٌ[1] .

**وأما الإجماعُ:** فإنّهم مُجمعونَ على أنّ موسى سَمِعَ كلامَ اللهِ تعالى منه بغيرِ واسطةٍ، والصوتُ هو ما يُسْمَعُ.

ورُوي عن الصحابةِ رضي اللهُ عنهم أجمعين إضافةُ الصَّوْتِ إلىٰ اللهِ تعالى من غيرِ نَكيرٍ من أحدٍ منهم كما تقدّم عن ابن مسعودٍ وغيرِهِ.

وجاء في الخَبَرِ أنّ بني إسرائيلَ قالوا: يا موسى، بِـمَ شَبَّهْتَ صوتَ ربِّكَ؟ قال: إنّه لا شبيهَ له[2] .

وقال أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما: « إعرابُ القرآنِ أحبُّ إلينا من حِفْظِ بعضِ حروفِهِ »[3] .

وسُئل عليٌّ رضي اللهُ عنه عن الجُنُب: هل يقرأُ القُرآنَ؟ قال: لا ولا حرفًا[4] .

وعنه أنه قال: مَنْ كَفَرَ بحرفٍ من القُرآنِ فقد كَفَر به كُلِّه[5] .

وقال ابنُ مسعود: ما من مؤمنٍ يقرأ حرفًا من القُرآنِ ـ ولو شئتُ

---

= ولكن روى الترمذي (٢٩١٢) وغيره بسند صحيح عن ابن مسعود مرفوعاً: « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: « آلم » حرف، ولكن « ألِفٌ » حرف، و« لامٌ » حرف، و« ميم » حرف، فهو يُغني عنه.

(١) وهذا بعيدٌ كما تقدّم، ولكنْ لعلّه اختلط عليه الحديثان فظنّهما واحداً، والله أعلم

(٢) قارن بـ« الردّ على الجهمية » (ص ٨٩) للإمام أحمد بن حنبل.

(٣) رواه بنحوه عن عمر البيهقي في « الشعب » كما في « الكنز » (٤٢٠١٥).

(٤) رواه عبد الرزاق (١٣٠٦) والبيهقي (١/٨٩).
قلت: وفي المسألة تفصيلٌ فقهيٌّ ليس هذا محلّه، وانظر « المحلّى » (١/٧٧) لابن حزم.

(٥) رواه عبد الرزاق عن ابن مسعود، كما في « الكنز » (٤٠٣٦).

لقلتُ: اسمًا تامًّا ولكنْ حرفٌ إلّا كتبَ اللهُ تعالى له عشرَ حسناتٍ.

وأجمعوا على أنّه مَنْ جَحَدَ سورةً من القُرآن أو آيةً أو كلمةً أو حرفًا مُتَّفَقًا عليه أنّه كافرٌ.

قال أبو نَصْر السِّجْزي: هذه حُجَّةٌ قاطعةٌ أنه حروفٌ، قاله في «البُرهان».

فإنْ قيلَ: فالصوتُ لا يكون إلّا من جِرْمين[1]، والحروفُ إنّما تكونُ من مخارجَ ولا يُوصَفُ اللهُ تعالى بذلك؟

فالجوابُ من وجوهٍ:

**أحدها**: أن يُقال: من أين علمتُم هذا؟

فإنْ قالوا: لأنّها في حَقِّنا كذلك، فكذلك في حَقّ الله تعالى قياسًا له علينا.

قلنا: هذا خطأٌ واضحٌ، فإنَّ الله تعالى لا يُقاسُ على خلقهِ ولا يُشَبَّهُ بهم ولا تُشَبَّهُ صفاتُه بصفاتِهم، وَمَنْ فعل ذلك كان مُشَبِّهًا ضالّاً.

**الثاني**: أنَّ هذا باطلٌ، فإنّ الله تعالى قال: ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾[2] ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3] وأخبر أنّ السَّمٰواتِ والأرضَ قالتا: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[4].

---

(١) مفردها: جِرْم، وهي الصوت، وقيل: جهارتُه.

(٢) سورة يٰس، آية: ٦٥.

(٣) سورة فصّلت، آية: ٢١.

(٤) سورة فصّلت، آية: ١١.

وأخبر النبيُّ ﷺ أنّ حَجَرًا كان يُسَلِّم عليه[1]، وأَنّ الذِّراعَ المسمومَة كَلَّمَتْهُ[2].

وقال ابنُ مسعودٍ: «كُنّا نسمعُ تسبيحَ الطعامِ وهو يُؤكَلُ»[3].

ولا خلافَ في أنّ اللهَ تعالى قادرٌ على إنطاقِ الحَجَرِ الأصَمِّ بغيرِ مخارجَ ولا أدواتٍ.

**الثالث:** أنّه يَلْزَمُهُمْ أنْ يقولوا في سائرِ صفاتِ اللهِ تعالى كذلك، فَيَقُولون: إنّ العلمَ لا يكونُ إلّا بقلبٍ، والبَصَرَ لا يكونُ إلّا من حَدَقَةٍ، والسمع لا يكونُ إلّا من إنْخِرافٍ!!

فإنْ طَرَّدوا[4] ذلك في الصِّفاتِ كُلِّها صاروا مُجَسِّمينَ كافرين.

وإنْ نَفَوْا هذه الصِّفاتِ صاروا مُعَطِّلين.

وإنْ أثبتوها من غيرِ أدواتٍ لَزِمَهُمْ إثباتُ هذه الصفةِ أيضًا، وإلّا فما الفرقُ؟

وقال الغَزّالي: مَنْ أحالَ سماعَ موسى كلامًا ليس بحرفٍ ولا صوتٍ فَلْيُحِلِّ يومَ القيامةِ رؤيةَ ذاتٍ ليس بجسمٍ ولا عَرَضٍ.

وقال الطُّوفيُّ: كُلُّ هذا تكلُّفٌ وخروجٌ عن الظاهرِ، بل عن القاطعِ من غيره ضرورة[5] إلّا خيالاتٌ لاهيةٌ وأوهامٌ متلاشيةٌ، وما ذكروه معارَضٌ بأنّ المعاني لا تقومُ شاهدًا إلّا بالأجسامِ، فإنْ أجازوا معنًى قام بالذاتِ

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٧) عن جابر.

(٢) رواه أبو داود (٤٥١٠) والدارمي (١/٣٣) عن جابر بسند صحيح.

(٣) رواه البخاري (٦/٤٣٢) عنه.

(٤) استمرّوا بإثْباته.

(٥) كذا، وفيه اضطرابٌ ظاهرٌ!!!

القديمةِ وليست جِسْمًا فَلْيُجيزوا خروجَ صوتٍ من الذاتِ القديمةِ وليسَتْ جسمًا، إذْ كِلَا الأمرينِ خلافُ الشَّاهِد، وَمَنْ أحالَ كلامًا لفظيًّا من غير جسمٍ فَلْيُحِلَّ مرئيةً من غيرِ جسمٍ، ولا فَرْقَ. انتهى.

قال الحافظُ أبو نَصْرِ السِّجْزِيُّ: لو كان الكلامُ غيرَ حروفٍ، وكانت الحروفُ عبارةً عنه، لم يكن بُدٌّ من أن يَحْكُمَ لتلك العبارةِ بحُكْمٍ إمّا أن يكونَ أَحْدَثها في صدرٍ أو لوحٍ أو نَطَقَ بها بعضُ عبيدهِ فتكونُ منسوبةً إليه، فيلزمُ مَنْ يقولُ ذلك أن يُفْصِحَ بما عندَه في السُّوَرِ والآيِ والحروفِ: أهي عبارةُ جبريلَ أو محمدٍ عليه الصلاة والسلام؟ انتهى.

**تتمّة**: قال الحافظُ ابنُ حَجَرِ العَسْقلانيّ[1]: والذي استقرَّ عليه قولُ الأشعريّة أنّ القرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ، مكتوبٌ عليكم في المصاحف، محفوظٌ في الصُّدور، مقروءٌ بالألسنةِ، قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾[2].

وفي الحديثِ الصحيح: «لا تُسافروا بالقُرآنِ إلى أَرْضِ العدوّ كراهةَ أن ينالَه العدوُّ»[3] وليس المرادُ ما في الصُّدور بل ما في المصحف.

وَأَجْمَعَ السَّلَفُ على أنَّ الذي بين الدّفتَيْنِ كلامُ الله.

ولصاحبِ «المواقف» عَضُد الدِّين[4] رحمه الله تعالى مقالةٌ مفردَةٌ في تحقيق كلامِ الله تعالى تُطابق ما تقدَّم، وَذَكَرَها السيدُ الشريفُ[5] في شرحه لـ «المواقف»

(١) في «فتح الباري» (٤٩٣/١٣).
(٢) سورة التوبة، آية: ٦.
(٣) رواه البخاري (٩٣/٦) ومسلم (١٨٦٩) واللفظ له، عن ابن عمر.
(٤) هو الإيجي، المتوفى سنة (٧٥٦ هـ) ترجمته في «طبقات السبكي» (١٠٨/٦).
(٥) الجُرجاني، توفي سنة (٨١٦ هـ) ترجمته في «الضوء اللامع» (٣٢٨/٥).

وقد ظَهَرَ مِمّا ذكره الحافظُ ابنُ حَجَرٍ وصاحبُ «المواقف» موافقةُ الشيخ الأشعريّ للإمامِ أحمدَ في مسألة الكلام وأنّ ما رُوي عنه مخالفًا لذلك فهو غَلَطٌ من الناقلِ أو جَهْلٌ بما استقرَّ عليه قولُ الأشعريّ[1].

وقد أتى التاجُ السُّبكيُّ في «الطبقات»[2] في ترجمة الأشعريّ بأصرحَ من ذلك، فراجِعْهُ إنْ شئت، واللهُ أعلمُ.

---

(١) وقد قال الآلوسي في «روح المعاني» (١٧/١): الذي انتهى إليه كلامُ أئمّة الدين كالماتريدي والأشعري وغيرهما من المحققين أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بحرف وصوت كما تدلّ عليه النصوص التي بلغت في الكثرة مبلغاً لا ينبغي معه تأويل، ولا يناسبُ في مقابلته قال وقيل..!!
قلت: ثم أطال في حشد الأدلّة على تأييد كلامه من الكتاب والسنّة، فراجعه.

(٢) (٢٤٥/٢).

# الفَصْلُ الثَّالِثُ[1]

## فِي قواعِد نافِعَة

**القاعدةُ الأُولى:**

أنْ يُقالَ: القولُ فِي بعض الصِّفاتِ كالقولِ في بعضٍ، فإنْ كان المخاطَبُ مِمَّنْ يُقِرُّ بأنَّ الله تعالى حيٌّ بحياةٍ، عليمٌ بعلمٍ، قديرٌ بقدرة، سميعٌ بسَمْع، بصيرٌ ببَصَرٍ، متكلِّمٌ بكلام، مريدٌ بإرادةٍ ويجعلُ ذلك كُلَّهُ حقيقةً، ويُنازِعُ في محبّتِه ورضاهُ وغضبِهِ وكراهتِه، فيجعلُ ذلك مجازاً، ويُفَسِّرُهُ إمّا بالإرادةِ وإمّا ببعضِ المخلوقات من النِّعم والعقوباتِ قيلَ له: لا فَرْقَ بين ما نَفَيْتَهُ، وبين ما أَثْبَتَّهُ، بل القولُ في أحدِهما كالقولِ في الآخر.

فإنْ قُلْتَ: إنّ إرادتَه مثلُ إرادةِ المخلوقينَ، فكذلك محبَّتُهُ ورضاهُ وغضبُه وهذا هو التَّمثيل!

وإن قلتَ: إنّ لهُ إرادةً تليقُ به كما أنّ للمخلوقِ إرادةً تليقُ به، قيلَ له: وكذلك له مَحَبَّةٌ تليقُ به، وللمخلوقِ مَحَبَّةٌ تليقُ به، وله رضىً وغضبٌ يليقُ بهِ، وللمخلوقِ رِضىً وغضبٌ يليقُ به.

فإنْ قالَ: الغَضَبُ غَلَيَانُ دَمِ القلبِ للانتقامِ، قيل له: والإرادةُ مَيْلُ

---

(١) هذا الفصلُ ملخَّصٌ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «التدمرية»!

النَّفْسِ إلى جَلْبِ منفعةٍ أو دَفْعِ مَضَرَّةٍ.

فإنْ قلتَ: هذه إرادةُ المخلوقِ، قيل لك: وهذا غضبُ المخلوقِ، وكذلك يلزمُ القولُ في كلامهِ وسمعهِ وبصرهِ وعلمهِ وقُدرتهِ.

وإنْ كان المخاطَبُ مِمَّنْ ينكِرُ الصفاتِ ويُقِرُّ بالأسماءِ كالمُعتزليِّ الذي يقول: إنّه حيٌّ عليمٌ قدير، ويُنكر أن يَتَّصِفَ بالحياةِ والعلمِ والقدرةِ، قيل له: لا فَرْقَ بينَ إثباتِ الأسماء وبينَ إثباتِ الصفات، فإنّكَ إنْ قلتَ: إثباتُ الحياةِ والعلمِ والقدرةِ تقتضي تشبيهًا أو تجسيمًا لأنّا لا نجدُ في الشاهدِ[1]. مُتَّصِفًا بالصفاتِ إلّا ما هو جسم، قيل لك: ولا نجدُ في الشاهدِ ما هو مُسَمَّىً حيٌّ عليمٌ قديرٌ إلّا ما هو جسمٌ، فإنْ نفيتَ ما نفيتَ لكونِكَ لم تَجِدْهُ في الشاهدِ إلّا بجسم فَانْفِ الأسماءَ بل وَكُلَّ شَيْءٍ، لأنّكَ لا تجدُهُ في الشاهدِ إلّا بجسمٍ.

**القاعدةُ الثانيةُ:**

أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى موصوفٌ بالإثباتِ والنفيِ، فالإثباتُ كإخبارِهِ أنّه بكلِّ شيء عليمٌ، وعلى كُلِّ شيء قَديرٌ، وأنّه سميعٌ بَصيرٌ ونحو ذلك[2].

**والنَّفْيُ:** كقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[3].

وَيَنْبغي أَنْ يُعْلَمَ أنّ النفيَ ليس فيه مَدْحٌ ولا كمالٌ إلّا إذا تَضَمَّنَ إثباتًا، لأنَّ النفيَ المَحْضَ عَدَمٌ مَحْضٌ، والعَدَمُ المَحْضُ ليس بشيءٍ، وما ليسَ بشيءٍ هو كما قِيلَ: ليس بشيءٍ فَضْلًا عن أن يكونَ مَدْحًا أو

(١) أي: المرئيّ المشاهَد.

(٢) والآياتُ القرآنيةُ في ذلك كثيرةٌ.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

كمالًا، ولأنَّ النفيَ المحضَ يُوْصَفُ به المعدومُ والممتنعُ وهما لا يُوْصَفانِ بمدحٍ ولا كمالٍ.

ولهذا كان عامّةُ ما وَصَفَ اللهُ به نفسَه من النفي مُتَضَمِّنًا لإثباتِ مَدْحٍ كقولِهِ: ﴿اللهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ ٱلقَيُّومُ لَآ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾.

فَنَفْيُ السِّنَةِ والنومِ يتضمّنُ كمالَ الحياةِ والقيامِ فهو مُبَيِّنٌ لكمالِ أنّه الحيُّ القيّومُ.

وكذلك قولُه: « ولا يَؤودُهُ حِفْظُهُمَا » أي: لا يَكْرُبُهُ[1].

ولا يُثْقِلُهُ، وذلك مُسْتَلزِمٌ لكمال قُدرتِهِ وتمامِها بخلافِ المخلوقِ القادرِ إذا كان يقدرُ على الشيء بنوع كُلْفَةٍ وَمَشَقَّةٍ.

فإنّ هذا نقصٌ في قُدرتِهِ وعيبٌ في قُوّتِهِ.

وكذلك قولُه: «لَآ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ﴾[2] فإنَّ نَفْيَ العُزوبِ مستلزمٌ لعلمِهِ لكلِّ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰواتِ والأرضِ.

وكذلك قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا في سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[3] فإنَّ نَفْيَ مَسِّ اللُّغوبِ الذي هو التعبُ والإعياءُ دالٌّ على كمالِ القُدرةِ ونهايةِ القُوّةِ بخلافِ المخلوقِ الذي لا يلحقُه من التعبِ والكَلَالِ ما يلحقُه.

---

(١) أي: لا يشتدّ عليه.

(٢) سورة سبأ، آية: ٣.

(٣) سورة قٓ، آية: ٣٨.

وكذلك قولُه تعالى: ﴿لَاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾[1] إنّما نفى الإدراكَ الذي هو الإحاطةُ كما قاله أكثرُ العُلَماءِ، ولم يَنْفِ مجردَ الرؤيةِ، لأنّ المعدوم لا يُرى، وليس في كونهِ لا يُرى مدحٌ، إذ لو كان كذلك لكان المعدومُ ممدوحًا.

وإنّما الممدوحُ في كونهِ لا يُحاطُ به وإنْ رُئِيَ، كما أنّه لا يُحاطَ به وإنْ عُلِمَ، فكان في نَفْيِ الإدراكِ من إثباتِ عَظَمته ما يكونُ مدحًا وصفةَ كمالٍ، وكان ذلك دليلًا على إثباتِ الرؤيةِ مَعَ عَدَمِ الإحاطةِ لا على نَفْسِها، وهذا هو الحقُّ الذي اتّفقَ عليه سَلَفُ الأُمَّةِ وأئمّتُها، والله أعلمُ.

## القاعدةُ الثالثةُ:

### [ بين صفاتِ الله وصفاتِ المخلوقين ]

إنَّ كثيرًا من الناسِ يتوهّمُ في بعض الصِّفاتِ أو كثيرٍ منها أو أكثرِها أو كُلِّها أنّها تُماثِلَ صفاتِ المخلوقينَ، ثم يُريد أَنْ ينفيَ ذلك الذي فَهمَهُ فَيَقَعُ في أنواع المحاذيرِ:

**أحدِها:** كونُه مَثَّلَ ما فَهِمَهُ من النُّصوصِ بصفاتِ المخلوقينَ، وظَنَّ أنّ مدلولَ النصوصِ هو التمثيلُ.

**الثاني:** أنّه إذا جَعَلَ ذلك مفهومًا وعَطَّله بَقِيَتِ النصوصُ مُعَطَّلَةً عمّا دلّت عليه من إثباتِ الصفاتِ اللائقةِ باللهِ، فيبقى مع جنايتهِ على النُّصوصِ وظَنِّه السيّءِ الذي ظَنَّهُ باللهِ ورسولهِ، حيثُ ظَنَّ أنّ الذي يُفهم من كلامِهما هو التمثيلُ الباطلُ، فقد عَطَّلَ ما أَوْدَعَ اللهُ ورسولُه في

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٣.

كلاهما من إثباتِ الصفاتِ لله والمعاني الإلٰهيّةِ اللائقةِ بجلال الله.

**الثالث:** أنّه ينفي تلك الصفاتِ عن الله بغير علمٍ فيكونُ مُعَطِّلًا لما يستحقُّه الربُّ.

**تتمّة:** من تَحْقيق التوحيدِ أن يَعْلَمَ أنّ الحقوقَ ثلاثة:

١ ـ حقٌّ للهِ تعالى لا يَشْرَكُهُ فيه مخلوقٌ.

٢ ـ وحقٌّ لرسولهِ صلى الله عليه وسلم.

٣ ـ وحقٌّ مشترَكٌ بينهما.

١ ـ فأمّا حقُّ اللهِ تعالى وحدَه فكالعبادةِ والتوكُّلِ والخوفِ والخشيةِ والتقوى والإنابةِ والرجاءِ والاستعانةِ قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوْا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الفَائِزُوْنَ﴾[٤].

فأثبتَ الطاعةَ للهِ والرسولِ، وأثبتَ الخَشْيَةَ والتقوى للهِ وحدَه.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوْهُمْ وَخَافُوْنِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾[٥] وقالَ ﷺ: «لا تقولوا: ما شاء اللهُ وشاءَ محمّدٌ، ولكن قولوا: ما شاء الله ثُمَّ ما شاء محمّد»[٦].

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٣.

(٢) سُورة الزمر، آية: ٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢٣.

(٤) سورة النور، آية: ٥٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٧٥.

(٦) رواه الطيالسي (٤٣٠) وأحمد (٥/٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨) وأبو داود (٤٩٨٠)=

وهذا لأنّ مشيئَة الله تعالى ليست مُستلزِمَة لمشيئةِ أحدٍ من العبادِ، ولا مشيئةِ أحدٍ من العباد مشيئةَ اللهِ، بل ما شاءَ اللهُ كانَ وإنْ لم يَشأ الناسُ، وما شاءَ الناسُ لم يكن إنْ لم يشأ اللهُ.

٢ - وأما حقُّ الرسولِ ﷺ المختصُّ به فكالتَّعزيرِ[١] والتوقيرِ والاتِّباع والاسْتِسْلامِ لحُكْمِه.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[٣] وأمثال ذلك.

٣ - وأما الحقُّ المُشْتَرَكُ بين اللهِ ورسولِهِ: فكالحُبِّ والإيمان والتصديقِ والطاعةِ، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿واللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ واللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٦].

= والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٥) وابن السني (٦٧١) عن حذيفة بسند صحيح.

(١) هو النُّصرة مع التعظيم، كما في «المفردات» (ص ٣٣٣) للراغب.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) سورة النساء، آية ٨٠.

(٥) سورة التوبة، آية: ٦٢.

(٦) سورة التوبة، آية: ٦٤.

ومِنْ هذا البابِ أنّ النبيَّ ﷺ كان يقولُ في خُطبته: «من يُطعِ اللهَ ورسولَه فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهما فإنّه لا يضرُّ إلّا نفسَه، ولن يَضُرَّ اللهَ شيئا»[1].

وإلى هذا أشارَ العلّامةُ ابنُ القيِّم في «نونيّته»[2] بقوله:

للهِ حَقٌّ لا يكونُ لغيرِهِ ... ولعبدِهِ حَقٌّ هُمَا حَقّانِ
لا تَجْعَلوا الحَقَّيْنِ حَقّاً واحداً ... من غيرِ تَمْييزٍ ولا فُرْقانِ
فالحجُّ للرحمٰنِ دونَ رسولِهِ ... وكذا الصلاةُ وذَبْحُ ذي القُربانِ
وكذا السُّجودُ ونَذْرُنا ويَمينُنا ... وكذا متابُ العَبْدِ من عِصْيَانِ
وكذا التوكُّلُ والإنابةُ والتُّقَىٰ ... وكذا الرجاءُ وخَشْيَةُ الرَّحمٰنِ
وكذا العبادةُ واسْتِعَانَتُنا بهِ ... إياكَ نعبُدُ ذان تَوْحيدَانِ
وَعَلَيْهِما قامَ الوجودُ بأَسْرِهِ ... دُنْيا وأُخْرى حَبَّذا الرُّكْنانِ
وكذلك التسبيحُ والتكبيرُ والتـ ... ـهليلُ حَقُّ إلٰهِنَا الدَّيّانِ
لكنّما التَّعزيرُ والتوقيرُ حَقٌّ ... للرَّسُولِ بمُقْتَضَى القُرآنِ
والحبُّ والإيمانُ والتَّصديقُ ... لا يَخْتَصُّ، بل حَقَّانِ مُشْتَرَكانِ
هذي تفاصيلُ الحقوقِ ثلاثةٌ ... لا تُجْمِلُوها يا أولي العِرفانِ

---

(١) رواه أبو داود (١٠٩٧) و(٢١١٩) والبيهقي (٢١٥/٣) و(١٤٦/٧) والطبراني في «الكبير» (١٠٤٩٩) عن ابن مسعود، وفي سنده أبو عياض المدني، وهو مجهول.
قلت: وانظر «تهذيب السنن» (٥٥/٣) لابن القيّم.

(٢) انظر «شرحها» (٣٤٧/٢) فيما بعد.

## [ خَاتِمَة ]

هذا آخِرُ ما تيسَّر جَمْعُهُ، نسألُ اللهَ العظيمَ أن يُعِمَّ نفعَه وأنْ يجعلَه خالصًا لوجهِهِ الكريم، مُقَرِّبًا لَدَيْهِ، في جَنَّات النَّعيم.

والحمدُ لله الذي بنعمتِه تتمُّ الصالحاتُ، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدنا محمدٍ وعلى آلهِ وأصحابِه أُولي الفضل والكراماتِ، صلاةً وسلامًا دائمَيْنِ ما دامتِ الأرضُ والسمٰواتُ[1].

(١) تمّ الفراغ من ضبط نصّ هذه الرسالة، والتعليق عليها، قُبيل غروب شمس يوم الثلاثاء الموافق للثامن من ذي القعدة سنة ستّ وأربع مئة وألف للهجرة، فالحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

# فهرس